أقلّبُ الإسكندريةَ على أجنابِها



شعر

مهدي بندق

أقلّبُ الإسكندريةَ على أجنابها

لوحة الغلاف : للفنان د مصطفى عبد الوهاب

التصميم والجرافيك : م. طارق بندق

دار تحديات ثقافية للنشر والتوزيع

مؤسساها : مهدي بندق وفوزية شبل

٢ شارع سيد أحمد حسن ـ محرم بك ـ الإسكندرية

تليفاكس : ٠٣/٤٩٥٨٨٤١ محمول : ٠١٢٣٢٩١٤٩٢

Email : tahadyat_thakafya@yahoo.com

مهدى بندق

أقلبُ الإسكندريةَ على أجنابها

شعر

عيون المطر

من أين يأتي طائر السعير؟

يستسلم الموتى القدامى للمصائرِ ، ظامئين

ونهرهم فحمٌ

وفي الأرحامِ حفارُ القبورِ دليلُها، والغيمُ

يصلبُها مراراً

يا بلاداً أنجبت أطفالها في الضنكِ ، فأسلمتهم

للرياحِ بلا سراويلَ

يـزحفون علـى الحوائـطِ كالصراصـير النحـيلةِ ،

أو كنملٍ يلتقي في

الصيفـ أحيانا ً ، ويهلك في طوابير الشتاء

من أين يأتي طائر السعير ، السيلُ يكتشف

اختباني في دخان لفافةٍ

غمغمتُ : يا هذا

العقاب عرفته ُ ، فالذنبُ ماذا ؟

قال : لا ذنباً هناك وإنما عصفٌ أسامِرُهُ ،

وقصفٌ في الحشا

متكررٌ ولعلهُ العشواءُ في لغةِ الورى

من أين يأتي طائر السعير

والبحر يرمي في دماني شصَّهُ اليَوميَّ والأعشابُ

تتبَعُني

وترفع بالتقارير الدقيقةَ كل واردةٍ، وشاردةٍ إليهِ

ورمل القاع يهرب من زنازنهِ إلى زنزانةٍ

تُفضي إليهِ

قلتُ: كيفَ،

فقال : هل من وجهةٍ أخرى؟

هبطتْ من الأصقاعِ بالشُهُبِ

فتخاءُ عنقا مغربٍ لَجِبِ

فَرمَتْ على صدري الفراشاتِ الأراملَ

واليماماتِ التي باتت بلا أفراخها

هل ذاك ريشٌ أم ركامُ العوسجِ المغروزِ في

لحمِ ؟ أفريقيا تنوحُ

وراءَ قافلةِ النخاسةِ ، بينما شيخي بمسلك علّةِ

الإجماعِ ينتظر الذين

سيغسلون يديه والقدمين

وأنا أصب المِسكَ في نعل "المُقيس" وفي

جواربهِ

حتى انقسمت اثنين

فواحدٌ هو للغيابِ من الولادةِ للوفاةِ فلا يُحِسُّ

الكارثة

وواحدٌ يلقى بيقظته المسوخَ بكل منعطفٍ نقهقهُ،

والأحبةُ يحملون

متاعهم باكين من هول الفراق

تلك الرائحةُ القادمةُ من الصحراء

أتنشـقها طوعاً أو كرهاً

فتحطُ على رئتيّ وطاويطُ التضعيفِ الصوتيِّ،

وغوريلاتُ المنعِ

بأيديها الأسيافُ ، وصحفٌ برقشها بالمقتِ

الأسلافُ

وبقـعها بالزيتِ الأخلافُ

تماشيها في المحتفلاتِ قرودٌ تتبادل غائطـَها ،

وتماسيحُ مُجَنـَّحةٌ

تتلاسنُ، وسنانيرُ تَعضُ على درجاتِ هياكلها

العظميةِ ،

لاعقةً أورجازمَ اللحظاتِ الزائلةِ الخرقاء

كل صباح

تتسحب الشمسُ إلى غرفتنا الورقية

تتمددُ منهكةً فوق أريكةِ أحزاني

فأقوم إليها بقوارير الملح وخبراتِ هزائمنا

محتشدا

أسكب في أذنيها قطراتٍ من علمٍ لا ينفع

حتى يبلعنا في بَرنـامَجِه الشَرَكُ المعتاد

مبتكراً ـ كالمعتادِ ـ فرائسه الجُددا

يُحلـّقُ

لا تسألي كيف جاء

ولا تسألي عن بلادٍ تفتّحُ أبوابها للسعير

وتـُلقِي على الشِعرِ بالمنجنيقِ الحجر

ولكنْ.. سلي عن بهائكِ

أنتِ التي وُلدَتْ في الأعاصير فوق جبالِ

البراءةِ ، موّارَةً

برحيــق الخطر

... ...

فمالك لا تُطلقين القصائدَ سهماً فسهماً

إلى أن تُطل من الصخرِ يوماً

عيونُ المطر

ظِـــلُّ المـــلك

ذلك البحرُ

ليس بحرك أيتها الغيمةُ الحبلى

إنه قاربٌ يشبه السيفَ

وأنت الرقبة

المدينةُ مبصرةٌ كلها (هكذا قيل لي)

فلماذا تباغتها بعماك؟

كيف تدوس على ذيل فستانها حافياً كالطحالب

ينقلب الصمتُ فيها

ويقترضُ الرعبُ منك الكلامَ الذي يتعشى

به الوقتُ مثل الجراد المحمرّ،

ينهضُ كالوابل الأرجوانيّ

لا تتقيه الولاةُ الغرانيقُ

واقفةً بين ماء ورمل كثيفٍ

يصير الكلامُ هواءً

فتلك الرعيةُ ليست تراهُ

ولا تدرك الظلَّ فيه

ولا تدرك الارتشاحَ الذي يحتويه

اندفعتَ به فانكتبتَ على صفحةٍ

(لم يقاربها الفاتحون الغزاةُ،

ولم يعتبرها الفلاسفةُ الهيجليونَ والماركسيونَ

أسرارُها لم يفكر بها قط نسلُ الحواسبِ والبشرُ

البرزخيونَ)

بينا انسكبتَ على فتحة الصدر فيها

بأحرفك القرمزيةِ تصطلك بالثلج والنار

لا تتأوه أو تستجير

من بقايا إهابك

تطلع رايتُك الصدمةُ

اللبـُ ينقحها في شظايا المياه العميقةِ

(هلا سقينا أبانا

فيقذفَ نطفته في الحشا ؟)

البقاءُ أم الشرعُ؟!

هل ابنةٌ هذه أم شقيقةٌ عارٍ بلحم أليفٍ

فمن ذا يحاكم من ؟

والبراءةُ أيقونةُ الذاهلين، تُعَلـَّقُ أو

لا تعلقُ حسبَ القراراتِ والتوصيات،

وحين اتخذتَ القرار بإطلاقها كالفراشةِ

ألقوا عليكِ الحبل في البر والبحر،

كي لا تُقَرَّ المساواةَ

بين البصير وبين الضرير

على خد إقليدس المتشقق

قاطرةُ الموت قادمة بالصفير

وقاطرةُ الصحو ترمقها

ثم تعدو ،

بينهما نحن : ثَلٌّ الضجيج ولا طحنَ

كنا انتظرناك تحذفنا من كتاب الغيابِ

المموهِ ،

والشمسُ تركلنا بالحذاءين

ذات اليسار وذات اليمين ،

دعوناك تُسلِمُنا شَفرَةَ الإنعتاق

فقلتَ: التصادمُ في الروح شرطٌ

ولكننا نحنُ لا نتبدلْ

غصنًا بكهف الرمال التي تتحرك من

نقطة في المكان إلى الظل عائدةً

والقطاراتُ تمرق في الزمن الدائريِّ

القطاراتُ خادعةٌ كلها

(نحن نعلمُ)

أوراقنا مزَقَ كلها

(نحن نعلمُ)

بينا ترفرفُ منا القبورُ

وراء ظلال القطار الأخير

قال لي غامضًا:

أنت لم تقتل الأبَ عند الحدودِ

ولم تستبح غرفة الملِكة

فاجلس إلى ظل نخلتك البدويةِ بين

غيوم البلاءِ

ورتّلْ قصائدك المستديمة

يشتد عودُ التسلط فيها

ويرتدّ غصنُ الخضوع إليك خيوطًا

تفتّلُها وتصير بها

خاتَمَ الأدعياء

القصيدُ اكتفى...

من كِذابِ الحكايات في بيته المتصدع

فيَدُ النار أغلقت الباب دون المطر

والطحينُ احتفى بالرياح

كلما صاح ديكٌ على المُدْخل العائليّ

توارى الصباح

وامّحَى الظلُّ

في غطش المنتهي

كرمةُ الإدانة

لم أشأ أن آخذ الدنيا غلابا

......

كل ما أردتُ .. أن أحلـقَ ساعةً

بين صديقاتي السُحبِ الخُـلـبّ

طرقتُ باب كرمة الإدانة

أسألُ عن سيّدٍ تنكّرَ

(في هيئة سيف ودرع)

بينما هو في داخله مُزْنَةٌ

تقطـّرُ الضياءَ في العيون المطفأة

سألتهم عنه

فثبّتوا مفاصلي

في اللحم بالحديد

في الغداةِ

سوف أذبح كليتمنسترا

لكي يعود لي أبي

وها أنذا ألطمُ وجه شقيقي

ليدرك الجمالَ المختبئَ الأزليَّ

في طلحةِ العصيان

فلا يقف كغيره من الرعاع في الطابور

ينتظر التفتيش الدوري

الذي يُجريه ضباط الـ Big Bang

التابعون لإدارة الحتمية الكونية

لمطلع الجنون في دمي آياته الكبرى

يُلقى إليَّ البرقُ منها وردةً

تلوح مثل القُبلةِ الأولى

وتقطع الشريان فجأةً بمعصمي

وفي انكسار القلب تحت أضراس الغروب

تعيدني لِزرقتها سيدةُ الأعناب والكروب

تُلبسني جلبابها الطويلَ

يُحيط بي كَخيطلٍ يشُم جمر لحمي

يضمني كأرقم

يَرُشُّ فيَّ عطر مِنـْشَمِ

أقول في غدٍ اشقـُهُ

ألقيه في عَلِيَّة النسيان

ودونه أزحف مثل هِرَّةٍ

تخربش الإفريز والجدران

لكنما الغداةُ لا تطل من ...

شُبَّاكها الزنزانة

والبابُ مغلقٌ

في وجهي المبهوت

لمام كرمة الإدانة

أقلّبُ الإسكندريةَ على أجنابها

هبطتُ إليك على جناح الحندس
خرقاءَ لم تَخبُر ولم تتمرسِ
فتوغرتُ قيظاً بميلاد الورى
وتنفستُ .. بعد انطفاء الأنفس

الكوابيسُ تعرفني
وتزاملني من قِماطِ الرضاع
إلى سنوات الترمُّلِ والثكلِ حين أهُبُّ لجُرعةِ
ماءٍ أرى توأمي آتياً بالسلاسلِ (ميراثنا)
مُطلِقاً في دمائيَ رُخَّ الجليدِ

الذي يُمطر الدِ بـق َ ،

يُلصق أسماكي َالأرجوانيةَ المستجيرةَ بالموجِ ،

والموجُ يعدو إلى أرخبيلِ الفرار

الكوابيسُ تعرفني

وتُعرّقني في النسيء بجَرذِ الفصولِ ، يدقُّ

دفوفَ الإهانةِ سبعاً ، أرى حبةَ الرملِ تُضرَبُ

سبعاً على إليَتيها ، أرى في مرايا السكوتِ

جبيني : خزائنَ موتى قُدامى ونقتني فطيرةَ حزنِ

كثيفِ

فيلعقها الجَرَذُ

والشمسُ تدلقُ ثعبانها

في شقوق الحشا ، والنجومُ ذباب

أنا هذي المدينةُ في زجاجة

رسالتها التي لا تُقرأ ، انبقعتْ

بلحم غلافها الأختامُ ، ترحلُ في سفينة بعلها

الأعمى

الذي رفعت له الدهماءُ عرشَ الغيم يمتدُ

له الديجورُ حاشية ، ومن شعرائه الإرغاءُ

والزَبدُ

وإني بينهم حملتُ أطنانَ الخرائطِ ، لكنْ

لا أدلُّ التائهين إلى ديارهمو

حِذارَ الغدرِ منقوشاً على سبابتي اليُمنى

ولا أحدا يخلصُني من التخليط بين

براءة الأشياء في قلبي ، وبين ضراوة الأعضاء

تُحلق في فضاء الغيِّ

أسراباً وأسراباً

ولا يصطادها رُشدُ

غررتْ بي هذه الإسكندريةُ في الصبا

أوعزتْ أنْ سوف تأتي بالأحبة

ثم ولت

مثل وجهٍ ذاب في فنجان قهوته الصباحيةَ

أتلف التذكارَ صحوٌ فاترٌ منه

فترجّلَ

عن جواد الحلم يدعو مبغضيه إلى الفطور

حاولتُ مراراً وتكراراً

أن أحذف الإسكندرية من ذاكرتي

كما يحذف الشاعرُ الصنّاع قصائده جميعاً

تطبيقاً لمبادئ اقتصاد اللغة

حاولت ، حاولتُ

فكانت تنشط في دمي كالأميبا

وتنشطر إلى دولتين

والدولتان نسختان من قطاط الليل يا زناة

تتبادلان النفط والمواء

والمواء والكبريت

وترفعان في وجوه الرهط مرةً

صوارمَ القهر

ومرةً بيارقَ الإذعان

وحينما تدعوهما لحضنها " سيانل "

أو تستحث الخطو منهما " ديربان "

تتبادلان الصمغ في الآذان

ترتدي الإسكندريةُ

في عيد العلم وشاحَ " هيباشيا " الجميلة

وفي اليوم التالي

تعرضه في هيئةٍ مزق وخروق

وهي تقسّم اللحمَ والعظمَ على أوضامِ القصابين

الورعين

وتكرر وتكرر وتكرر

أرضعتني بَولَها

ومشت بي في الحواري طفلةً ذات قضيب

أسحب النسوان ،ألقي بالجماجمِ

تحت أضلاع الشتاء النخرة

كلما صحتُ استدارت

ورمتني باللهيب

في غرفة الإعدام

استطاعت جدتي الفاجرة هذه

أن تَبخَ الرعبَ في قلوب المنفذين

حين قالت : نظرية تشومسكي خاطئةٌ يا سادة

ودليلي أنني قتلتُ هؤلاء المومسات

وكذلك الرب الحكيم فعل

للسنانير

وللجمال والحمير

أندية وجماعات

تكلمتْ فضج بالسُخام وجهُ هذه المدينة العليلة

فآن للقصيد أن يمد ساقه الخجولة

من قبل أن يغادر

إلى منافى التيه والشتات

كُسِرتْ زجاجةُ بندورا

فاندفعت الضفادعُ معلقةً على شظايا رأس التين

تتقافز إلى متحف الفنون الجميلة

حيث يَنبحُ تنتالوسُ أطفالَ الشوارع

لا الماءُ يغيض ولا الأغصانُ ترتفعُ

ثمة يفتح النقادُ معلباتِ ما بعد الحداثةِ ،

ويتجرعون

حيث الكواعبُ يصرن حيزبوناتٍ قبل أن

يرتد إليك طرْفُك

وحيث تُسملُ عيونُ طروادةَ في تراتيل السَحَر

وتتآكل أنوفُ قرطاجة في الظهيرة

وُتدفن بغدادُ في القبر الممتد من المحيط إلى الخليج

حيث الحليبُ مصلوب على أسوار الرياح

والأشجار محشورة بين أسنان أبي حامد ولثاه

من خلف سياج الليل المُعوَجّ

تتقذفُ وتتكورُ في عيني كفٌ لا أعرفُ صاحبها

شبحٌ مستورٌ عريانٌ أعرج

يمشي للخلفِ، وغايتُه

تأبيدُ الخوفِ على أنفاسٍ تتحشرج

يمضي في مسحِ الأمخاخِ استدراجاً

للألباب إلى فخ متبوع بفخاخِ الذاتِ، وما من

أحدٍ لا يُستدرج

... ...

قيل : فمن هذا الممسكُ بتلابيبِ الكون المُرتَجَ

قلت : هو الشعرُ الضديُّ الأهوج

أطفأ أنجمَهُ

وأتى بذُبالِ الإلغاءِ وأسرج

ثم استأجر قافلة في صحراءِ اللغةِ اللخناء

أمطرها بعناجيجَ تحمحمُ لكنْ

ليست تُلجم للركبان الفرحين

أو للباكين على طللٍ تُسرج

قالت الإسكندريةُ

نحن في الكهفِ لبثنا ألف عام

وافقنا لحظةً في حُلمنا

ثم عدنا للمنام

فلماذا

قلبَ الأجنابَ منا يا تُرى

هذا الغلام ؟!

مقام الفراق

منْ يكونُ

هذا الذي يتواثب في ركبه القهرُ

مستبشراً

وتُفتَحُ من أجله للمنايا الحصونُ

منْ يكونُ

الذي تتسابق للمحو فيه البرايا

فتَشُقّ جلابيبُها

وتُغمُ الملامحُ كي لا ترى

في رَغام البلاءِ ،

ولا في اندهاش المرايا

تلحضور غيابه ، للقرار : الإرجاءُ ،

وللمفردة الانفجار ، وللسواد الاخضرارُ

وللمدافن القيامْ والانتشارُ ، وللخيار طريقان

مختلطتان ، ومحتبستان ....،

بينهما مليون مليون دهر ضوئي ، بيني

وبين الرهط أشباح بكهفٍ تُستشارُ ، و.. سمتُها

كلبٌ عقورٌ أو حمارُ

وهو من سأمٍ ، يتسلى بما في دخيلته القرمزيةِ ،

يَقطرُ من رسغه عرَقُ النارِ

يشربه العشبُ ، والدمُ بين أكفّ الحزازاتِ يلعقه

المترفون ، السفائنُ

يخرقها للمساكين ِ ، يُغرقها ثم يخرجها بحبال

البلاغةِ عالقةً في الغضيض الغضونُ

كان يعلم أن السماءَ

هياكلُ خاوية ٌ

فرماها

بجمجمةٍ من سرابٍ ،

وجمجمةٍ يترقصُ فيها الجنونُ

ظلَّ يغرس آثاره في الفضا

شجراً من زجاج

والبراهينُ ترقبه

قاطفاً كل حينٍ شظايا

كان في البدءِ نَسراً

ولكنه بعدُ

صيدِ بأمر الدجاج

تنقيه ، وتركله بالمناقيرِ كي لا يُحلـِّقَ

ترمي جناحيه بالنملِ

كوكبةً من عبيدٍ ،

وكوكبةً من حرس

....

يغمزونَ

يقولون : لا تبتعد

أنت منا [ونحن فداؤك حين تموتُ]

فذكراك باقية ٌ بيننا لا تُمس

أيها المتحولُ أنت الثباتُ [التوهمُ] أنت المَصيد

ُ الفخاخُ

بناصيةِ الأسرِ تتشدُ شعر المحالِ

قوافيَ تسقط فيها الضحايا

وموجَ بحور التلذذِ

تنهشها كائناتُ اليبس

من يكونُ

قلتُ: هذا الذي اختزل الوقتَ فيهِ

فرُدتْ له ظلمة ٌ،

تتبرقش تحت العقال

حين أنذرها بالأواخر بعد الأوائل ،

فرّت نجومٌ

ومات اكتئاباً هلال

إنه ملكٌ يتحدى الفناء بمفرده

ورعيته تستطيبُ العماءَ

فتغرسه في الصدور ، وتجنيه يوم الحصاد

قتاداً ، يؤبّرُ نخل الشفاه

بخيط الخرس

فجأةً ، رأيته أمامي في حانةَ اللغةِ .. ارتمينا معاً

على طاولةٍ

ذات لنياب ِ، وساقينا [الذي لا يُرى] يمدنا

بالزجاجةِ تلو الزجاجةِ

فـ..شربنا على ذكر الحبيب مدامةً

سكرنا بها حتى غدونا واحـداً

[هو أم أنا ؟!] فاعلاً واحدا وسواه المفاعيلُ بين

الظلال

شاربا ً واحدا ً، وسواه الكؤوس ُ مهشمة ً في

الزوايا

فتكنسُها خادماتُ الزوال

للعوالمِ النصف الأسفلُ من الجسدِ، ولي لغة ٌ

ليس يعرفها إلاك

فهيا لُجبني، وتلك الفراشاتُ حولي

وخلفك أنتَ الجنودُ المسوخ

نحن سطرانِ ضدّانِ بينهما نقطةٌ فاصلة

سطرك الغيمُ لا ماءَ فيه

وسطري أنا الخيلُ بريّةٌ

كيف تترك شحمةَ آذانها

أو تُـعلّقُ في أنفها المتباعدِ قرط الرضوخ

لنت في المتن أجوبةٌ بالمدى تستهينُ

ولنا أزرع الهامشَ اللئبً بالأسئلة

كنت لي والداً

وروى بذرةٍ حفظتها السنونَ

غير أن الحصاد اختلف

والخيولُ امتطت راكبيها

الكمائن

أطلق فرشاته

سهماً في كبد القماش

وكان عصفور يرفرف خارج النافذة

عائداً لعشه مع الغروب

حينما اللوحة صارت كلها حمراء

مثل قطار ذي دخان أسود كنت

وذات يوم قلت أخرج قليلاً عن القضبان

أتقافز مثل برغوث ٍ في جلباب الرب الرحيم

أقرص الشياطين والملائكة

والبشر جميعاً باستثناء صديقي الأعمى

فأوقفتني عند شارع التحرير بجعةٌ

ومن جيب تنورتها أخرجت دفتراً

وقلمَ رصاص أسودَ القلب

وممحاةً ناعمةً كإهاب الأفعى

ثم أخذت تكتب تقريراً عن...

قطار ذي دخان خرج قليلاً عن القضبان

فكان ضرورياً أن تؤدي الممحاةُ وظيفتها

طوال السنوات الخمسين الماضية

كان يفكر في أنها

أثناء وجوده في حرب الروم

لابد ضاجعتْ جارَهما الفتى

ذلك الذي بات يرقد الآن عجوزاً وحيداً

على فراش أبيض في غرفة بيضاء

والليلةَ حين عاد من زيارته

كانت هي لا تزال ترقد مستسلمةً لمصيرها

على فراشهما المحدودب الوسط

مغمضة العينين

قال : نزعت عنه جهاز التنفس

ومضى يحدق في عينيها السوداوين المفتوحتين

إلى أن رحلتْ

ومزنُ الرنة

يُمطر ورداً على قميصه المبهوت

خضراءَ دون لبس كانت الإشارة

ودائر أمامها محرك السيارة

لكنني يا حسرتي مشلول

فأين مني حكمة الصبا

يا مُمزِجَ المشيب في أزقة الخسارة

يا توأمي الضليل

المدربون

ما زلتُ أذكر الأهدافَ التي أحرزناها

في مرمى فريق الجيران

بفضل ما علّمنا من فنون المراوغة

[فيما بعدُ .. وظفنا هذه الفنون في تعاملنا

مع منهجيات السياسةِ ، والبورصات،

والبحور الشعرية]

وكنا نلوذ بجلبابه من رياح الشتاء

فيحملنا كالزوارق للنهر كي نتطبعَ

[فيمـــــا بعــــدُ .. صـرنـــا ضفـــادعَ

نحــــجـل عـنـــد المصـــــــــــب]

وفي الليلِ كان لنا نخلةٌ للحكاياتِ

كلما هزها واحدٌ

أسقطتْ كلَّ ما تحتوي من رُطب

[وفيمـــا بعـــدُ .. أمسى معظمــــنا

مــن مُعِـدّي برامج التـلفـزيـــون

ومؤلفـي الإعلانـــات والمسلســلات]

... ...

هكذا غدونا رجالاً مرموقينَ

وصار المدربُ شيخاً كماء الكُلَـى المُحتَبَس

بيرقاً ينحني ويمر على الجسرِ دون حذاءٍ

وجلبابهُ راحلٌ عن ديار الجـلدِ والعظمِ

خيطـا فـخيــطـاً

وكان يعضُ على فارغاتِ الصفائحِ

يمضغُ قشرَ الفواكه كالقردِ

ونحنُ - تلاميذهُ - نتقاداه

حتى نعودَ لزوجاتنا برباط العُنقَ

**

كلُ حلمٍ يُرَدّ إلى نبعه في الكوابيس

هذي شموسُ الضرورةِ

ترقصُ في حفلات الزنا بالأقاربِ

هذي بلاغةُ كُهاننا الأقدمينَ ، وهذي بيوتُ

ثمودٍ تطيرُ

[للسُحبِ منطقٌ في كتابة

التاريخِ

يلعقُ بمقتضاهُ الشياطينُ والإنسُ فرجَ الهلاك]
كانت الثورةُ العالميةُ تمضي بنا في الصحارى
ونحنُ الظماءَ نسائلها : أين ماؤك يا أختُ
قالت : هناك
[هذا ثلجٌ لم يرسم مثله بيكاسو أو سلفادور]
يُكَوَّرُ بين أيادي الصغارِ ، ويُلقى مع لضحكات
الخوالي
وينزلق اللاعبون عليه
ملابسهم من فراء الثعالبِ
نحن الثعالبُ
جئنا عراةً لنقبع خلف السياجِ
كما دربونا نصفق ملء الأكفِ
ونهتفُ ملء الحناجرِ

للسادة الغالبين

**

أنتَ يا والدي تستحق الملام

أنتَ علمتني في الطفولةِ أن أتسامحَ

أن أتقي في الزحام الصدام

فاختصرتُ المسافةَ

سرتُ جوار الحوائطِ

أكثر مما يجب

حتى تكاكأ حولي رعاعُ المدينةِ

دقوا المساميرَ في رُكبتيَّ

وفي راحتيَّ

وفي الصُدغِ حتى انثقب

وحين بُعثتُ جديداً

رأيتكَ تمشي جديداً جوار الجدارِ

وهم ينشرون لأجلكَ هذا الخشب

**

أيّنـا في غدٍ يا رفاقَ القبورِ المُتاحة

سوف يُدربُ أطفاله الرُضّعَ

على الحبوِ

فوقَ شريط اللهب

مواسم الجفاف

رصاصةٌ أطلقتُها

تجاهَ ذئبِ الوادي

فغيرّتْ مسارَها واخترقتْ

من تحتِ سرجي ـ فجأةً ـ جوادي

****

الوردةُ التي كتبتُ فيها الشعرَ ذات يومْ

رفيقتي في الصحو أيامَ الصِّبا

علاقةُ الأحلامِ عند النومْ

سمعتُها بالأمسِ تشهقُ من ورائي

يا ويلتي! لطفَ حنانِي!

لعلني وطئتُ بالحذاءِ جسمَها النقيّ

وما انتظرتُ لحظةَ احتضارِها_

ما بين ساعديّ

وإنما انطلقتُ في الطريق بالسيارة

لأدركَ الميعادَ عند سيدي

رئيسِ مجلسِ الإدارة!

****

تقولُ لي شقيقتي المعلمة

حكايةَ الأطفالِ في أزقةِ التشريدِ والقمامة

إن الكنوز خلف هذا القائم الجدار

حرّاقةٌ للنفطِ

فرّاقة للرهطِ

قتّالةٌ للمسلمين الطيبين

والطيبين القبطِ

وما لهذي الدار من أنصار

تقول لي وكاسها تفور بالشماتة التي ترنو إلى

الإعصار

إن التي ناشدتها الوصال ليلة الزفاف

ستكشف القناع عن عدو

وإن هذا النهر في الرواح والغدو

قد صار شيخاً فانياً

لو يلمس الضفاف

لانكمشت أثداؤها وانبقعت ظهورها

فضاجعتها في المدى مواسم الجفاف

....

....

قصيدةٌ تهزُّ في المَخاض جذعَ النخلة البليده

فلا يرى وليدُها المنفوسُ وجهَ النورْ

وإن رآه لمحةً في هامش الجريده

أعرض عنه القارئ المعابثْ

منتقلا بوجهه المخمورْ

لصفحةِ الحوادثْ

شجر السطو

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ

قلتُ : وحوضُ فتنتيَ منتظرٌ بمصر

البراءةُ ظلٌّ يرفرفُ مثل رموش الصبايا

فكيف يصير الحبُّ بدايةَ الخطاء

والظلُّ أصبحَ بين الثقوب التي تُحجَبُ ؟

للفرح غمازتان فكيف تغيضان، والماءُ

هذا الخميسُ، يفيض بنهر الأكاذيبِ ،

رغم احتجاجِ السحبْ؟

... ...

وللشوق شامتُه كيف تُرْعُفُ بالدمِّ في

وَجنَـةِ خُلقت لنسيمِ القصيدِ

وليست تَجِـفُّ بحورُ الخليلِ ،

ولا تستقيل قوافي الطرب ؟

وليلايَ، عزُّ العمومةِ، فخرُ الخئولةِ، أسري بها

المولدُ الحرُ نحو الغَـداةِ، فقيَّدها خَصمُها الدهرُ

جاريةَ العالمينَ، تداولُ بين أكفِّ المرابينَ ،

تـلقى إلى مومياواتِ الفراعينِ حيناً،

وحيناً إلى وزراءِ عكاظِ العرب

ها أنذا .. طعنةٌ تتراءى

فهنا فتيةُ الحي يبتهلون وراء الكهانةِ لا

يُحضرونَ الدواءا

وأنا العاشقَ الفذُّ

أغدو بأرضِ الرجالِ الإماءِ قطاةً

تحط على فرش ليلى وتترك تحت مُلاءتها

ما تبقى من الزغبِ المُغتصَبْ

... ...

شجرُ السطوِ يدقُّ المساميرَ في نعوشِ الليالكِ،

يفقأُ عيونَ أجنةِ الياسمينِ، مُقطّراً صمغه بين

شفاهِ القُبّراتِ، ومُبطِلاً صوت العصافيرِ على

صناديقِ الصباحِ،

كي يعلّمَ الشعراء كيف يكسرونَ الوزن عامدينَ،

غارزاً

نصالَ الظهيرةِ في صدورِ النخلِ ورماحَ

الأصائلِ في

أكبادِ الأقحوانِ، وبلطةَ المساءِ في رؤوسِ

المنازلِ التي ..

لم يعد لها في القلوبِ منازلُ

فيا أيها البصرُ الزائلُ

أيهم -عنوةً- شدَّ حمَّالَـةَ الصدرِ

من نَسَّ قبحَ أصابعِهِ في الغديرِ

ومَدَّ سِماطَ الإهانةِ ميمنةً للهيبِ

وميسرةً للحطب؟

هنا الفرقدان يغيبان.

لا نجمةً لتربّتَ ظهرَ سُعالِ المشيبِ،

هنا أخلفَ الوعدَ رهطُ البطونِ ورهطُ العصب

فأتى الغرباءُ هنا يعصرون ترائبها كعصيرِ

القصب

بعد أن أولموا اللحم للأصدقاءِ "الكل له ما نهب"

فمتى يركبون السفينَ يغورون عني بما حملوه،

السيولُ أحب إليَّ، ولست أقول سآوي

إلى جبل الاعتياد وأترك يمّاً يلاطم تذكارَ ليلايَ

ما بين منبعهِ والمصب.

في كتاب الدسيسة فصلٌ لـ"أيس" و"ليس"

هامش فيه يذكرني تحت عنوان "قيس"

شاعرٌ حرّضَ الحبرَ لا يكتب النيلْ

زاعما أنه باع منزرهُ للدخيلْ

وكنا كتمنا عن الشاربينَ...

ولكنَّ هذا الغويَّ أذاع النبأ

داعيا أن تشقَّ الصخورُ لماء بديلْ

فأخذناه نحن بكوكبةَ من خيار الحرس

وشرحنا له

ان ملحَ الأباطحِ ليس يُرَوّي شفاهَ السهول

فمضى في اللجاجِ يقول

إنما سيعالجُ في الحلقِ داءَ الخرس

ظلت الشمسُ تبعث لي بشعاعٍ شحيحٍ،

إلى أن تلقت أوامرها فانطفأ

كان غيمُ الخريفِ بشرفته لا يزال

سادراً، فأطل عليّ وقال

- القريضُ ثغاءٌ وليس له من كلأ

والذي كنتَ تهذي به

في رؤوسِ الجميع طرأ

فالحـقُ بليلاك في مِـصرَ

لا أنت غيثٌ ولا القومُ يستنكرون الظمأ

الخروج

إلى محمد الحبشي

في ذلك الصباح الشتويّ العابس

رأيته خلفي .. كتلةً من الغبش

منعكساً على مرآة سيارتي

التي كانت قد تعطلت فجأةً

كعادتها

-

-

رأيته شطيرةَ خبز أسمر

يسيل من حوافها عسل بريّ

كان يمضي نحو كوخ ـ متداعٍ

فقلت أتبعه لأرى ماذا يفعل

مزيحاً عني استرابتي الموروثة

هو البحرُ

غادر ساحلاً والدرافيل ترشده

وعلى أردانه تتقافز بذور الجلنار

وتتزلق أوراق الطلحِ

وحبات البنفسج

هكذا رأيته أبيض الفودينِ .. والقلبِ

يجمع الأمطار في كفيهِ

وهو يغسل وجه الحجر

أيها القبرُ يا من عركتك من قبلُ

خذني لنكمل أشواطنا

إنما أرجوك

دع للأحبة بضع سنين أخر

كانت سمكة الشمس نائمة ً لا تزال

مثل طفلة من أطفال الشوارع

راح يهزها برفق أولاً

ثم بنصف رفق

ثم بربع رفق

مدلكاً صدغيها

وإلى خصرها راح يشد حزامها البحريّ

وإلى قدميها حذاءها الرمليّ

وهي تضحك من دغدغات أصابعه

لذيلها الأخضر المنكمش

رأيتُ

عناكب الصمت تستديرُ

ململمة خيوطها

ومعلنة أنها سوف تنسحب مؤقتاً

إلى ما وراء ألفا سنتوري

مخلية مواقعها

للآلئ والمرجان والقرنفلِ

قال لي :

غمرةٌ وها هي ذي تتجلي

بعدها

رأيته والطفلة ذات الذيل الأخضر

يصعدان معاً على درج النهار

وهما يحدقان فيّ

بعيون العارفين

حينما عدت إلى صديقتي الغادرة

ذات الأقدام الأربع والفم المفتوح

فوجئتُ بالمحرك دائراً منتظماً

مع أنني .. لم أكن قد أخرجت من جيبي بعدُ

مُفتاح الكونتاكت

مجمع الردى

إلى محمود رشدي

في هجير بداوتنا العربيةِ

أنت واحةُ ظلٍ بأطرافها .. نخلةٌ تبتسم

فاعطني من ثمارك يا صاحبي رطبتينِ

أعدهما للفطور بشهر الصيام

الذي يتمدد في جسمنا العربيِّ ،

ونحن نعلقه فوق صدر الجياع إلى البِرِّ

مثل الوسام .

....

فقل معي لقومنا المُغَيَّبين السُذَجِ اللئام

" لعلها الإشارةُ الجارحةُ الجريحة

بها تُـقام للثوى المأتمُ

فما لكم لا تحتسون قهوة الفضيحة

والميتون أنتمو

والقادمون للعزاء أنتمو

وليس غيركم

تـقبل أن تضمهم لصدرها جهنمُ "

....

وقل معى لدارنا المفتوحة

" لا تحبلى فكل حملٍ مُجْهضٌ

اليوم أو غدا

فأغلقى الأرحام أغلقيها

يا أنتِ يا قصيدةَ السلب

يا مَجْمع الردى "

جاء دوري

حينما قطعوا قدميَّ

ركبتَ في جذعي فخذيها

وساقيها الطويلتين

لأحاول أن أحرز السبق

في الأولمبياد القادم

حينما بتروا يديَّ

أعطتني بسرعةٍ ذراعيها

لأحمل بينهما الوطنَ

إلى عالم الحداثة

دون تأخير

حينما فقأوا عينيّ

منحتني عينيها الجميلتين

لأرى بهما نجمة الصباح

وهي تلوّح بيدها

لبحارة السفن التي

اتخذت قرار السفر

حينما سكبوا في أذنيّ الشمع المغليّ

أعارتني - لباقي العمر - أذنيها

لأسمع بهما السيمفونية الخامسة

و بحيرةَ البجع

و أخيرا جاء دوري

فحين أسلمتُ روحي لبارئها

واقفا

على البرزخ الفاصل بين البقاء و الفناء

وسُئِلتُ ماذا أريد

قلتُ : أن تحذفوا

من قاموس أيامها كلمتين:

الحزنَ

و الألم

صدر للشاعر

١. سفينة نوح الضائعة	مسرحية	المجلس الأعلى للفنون والآداب	١٩٦٤
٢. الحلم الطروادي	مسرحية	دار لوران	١٩٦٦
٣. الدين والفن	نقد	دار النهضة العربية	١٩٦٨
٤. الملك لير	مسرحية شعرية	دار الوادي	١٩٧٨
٥. ريم على الدم	مسرحية شعرية	دار الوادي	١٩٨٠
٦. السلطانة هند	مسرحية شعرية	اتحاد الكتاب	١٩٨٥
٧. غيط العنب ١٨٨٢	مسرحية	الهيئة العامة للكتاب	١٩٨٥

٨. ليلة زفاف إلكترا	مسرحية شعرية	الهيئة العامة للكتـــاب	١٩٨٧
٩. امتحان بن حنبل	شـعــر	المركز القومي للفنــون	١٩٨٧
١٠. غيلان الدمشقي	مسرحية شعرية	الهيئة العامة للكتـــاب	١٩٩٠
(حازت على جائزة الدولة التشجيعية ١٩٩٣)			
١١. حصان على صهوة رجل	شـعــر	الهيئة العامة للكتـــاب	١٩٩٤
١٢. يا أورفيوس	شـعــر	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٩٦
١٣. مقتل هيباشا الجميلة	شـعــر	الهيئة العامة للكتـــاب	١٩٩٦
١٤. هل أنت الملك تيتي؟	مسرحية شعرية	الهيئة العامة للكتـــاب ط٢	١٩٩٨
١٥. آخر أيام لخناتون	مسرحية شعرية	مؤسسة حورس الدولية	١٩٩٨

١٦. المسرح وتحولات العقل العربي	نـقـد	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٩٨
١٧. حتشبسوت بدرجة الصفر	مسرحية شعرية	مؤسسة حورس الدولية	١٩٩٩
١٨. بسماتيك وبسماتيك	مسرحية شعرية	مؤسسة حورس الدولية	٢٠٠٠
١٩. إضراب عن الماء	شـعـر	مؤسسة حورس الدولية	٢٠٠٠
٢٠. الشريفة بنت صاحب السبيل	مسرحية شعرية	مؤسسة حورس الدولية	٢٠٠١
٢١. استقالة من ديوان العرب	شـعـر	ـار تحديات ثقافية	٢٠٠٢
٢٢. حداثتنا المحاصرة	نـقـد	الهيئة العامة لقصور الثقافة	٢٠٠٣
٢٣. تفكيك الثقافة العربية	نـقـد	المجلس الأعلى للثقافة	٢٠٠٤

٢٤. في شطح الغياب	شـــعـــر	دار تحديـــات ثقافيـــة	٢٠٠٤
٢٥. سوسيولوجيا المسرح الشعري في مصر	نـــقـــد	دار تحديات ثقافية	٢٠٠٥
٢٦. المدخل الى علم الإهانة	شعر	دار تحديات ثقافية	٢٠٠٦
٢٧.	دراسة في تحولات المصريين	دار نهضة مصر	٢٠٠٨
٢٨. مدارات الكتابة المشتركة	حوارات	الهيئة العامة للكتاب	٢٠٠٨
٢٩. ـ أقلب الإسكندرية	شعر	دار تحديات ثقافية	٢٠٠٨

الفهرس

الترقيم الدولى
977 – 6820 – 02 – 5
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٨ / ٤٢٤٥

مهدى بندق في شعره وفكره : عاصفة متفجرة ، ونسـيم وديع

محمود أمين العالم

ما أحلى شعرك وأشهاه ، وما أجراه على الفضح بالصورة والإيقاع

د. نصر حامد أبو زيد

أمتعتني وأسعدتني، فلقد صنعتَ للإسكندرية أسطورةً قويةً، أخـــّاذةً .عرّيتَ الظلاميين، ونعيتَ على المدينة القهر،وجُبْتَ بها من ماضيها إلى حاضرها، وجعلتها عمي... تكن في هذا كله مباشراً، أو غامضاً، وإن لم ... ميسوراً إلا لمَنْ أحبَّ الشعر.

هذا الشاعر هو محطم الثنائيات الشريرة ... وممارسة

2.716
423iq
06557001